البيت الذهبي



إيمان مغازي الشرقاوي

دار البشير
للثقافة والعلوم

إهـــداء

إلى أحق الناس بحسن صحبتي..

إلى أمي الحبيبة - رحمها الله –

تلك الشمعة التي أضاءت لى الطريق وزرعت في نفسي حب القراءة منذ نعومة أظفاري وكانت لي خير عون..

وإلى أبي الحبيب - حفظه الله -

ذلك المصباح المنير الذي غرس في نفسي حبّ القلم منذ الصغر، فكدّ وتعب حتى ربّاني، وما فتيء دوما يرعاني، اعترافا مني بفضله .. وردّا لقطرة من بحر إحسانه .. فمهما فعلت فلن أوفيه بعض ما له عليّ ..

إليهما معا أهدي هذا الكتاب داعية المولى عز وجل أن يجعله ثقيلا في ميزان أعمالهما..

فاللهم تقبله مني واجعله برّا وصلة لهما.. وارحمهما كما ربياني صغيرة..



اسم الكتـــاب: البيت الذهبي

التـــــأليف: إيمان مغازي الشرقاوي

الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

عدد الصفحــات: 104

عـــدد الطبعات: (الطبعة الأولى 2010)

التوزيع النشـــر : دار البشير للثقافة والعلوم طنطا- مصر

تليفون : 0167467492 - 0162836461

darelbasheer@hotmail.com

dar_elbasheer@yahoo.com

الإيداع القانوني : 2010

الترقيـــم الدولي : I.S.B.N.977/ / /

1431 هـ

2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة



$ # " !

الحمد لله والصلاة والسـلام على سيدنا رسـول الله وعلى آلـه وصحبه ومـن **أما بعد.**

إن البيت المسلم هو اللبنة الأولى في بناء شخصية كل إنسان، الزوجان فيه هما حجر الأساس، وعليهما يقوم بنيانه، وبهما يظهر عنوانه، وهو روضة في صحراء الحياة، وبستان نضر نجني منه الثمار اليانعة من مودة ورحمة، وحب وإحسان.. وفي تلك الروضة يكتمل البنيان، وتكتحل العينان بالذرية الصالحة

من فلذات الأكباد الذين تقوم على سواعدهم الأمة، وتحيا بهم المجتمعات .

والبيت المسلم الهانيء السعيد الذي يعمره ذكر الله تعالى، وتزينه التقوى، بيت يرى أربابه وساكنوه في كل بقعة فيه وفي كل قطعة من أثاثه المتواضع ما يذكّر بالموعد مع الله تعالى، حين يقف المرء أمام خالقه حافيا عاريا إلا من إيمانه وصالح أعماله ليس بينه وبين ربه ترجمان، فيخلص الإنسان أعماله لله، ويجّرد تفكيره ونظرته إلى دنياه، ويسمو ويرتفع من المادية البحتة إلى عالم ذي روح وحياة تناجيه فيه محتوياته كأنها تقول له إنما أنا وسيلة فحسب ولست في يوم من الأيام غاية، فالغاية هناك في دار البقاء حيث يكون الخلود، فيتعامل المرء مع الكون بنوع عال من الرقيّ، وقسط موفور من السموّ الروحيّ .. فيعمر دنياه وعينه على الهدف الذي من أجله يعمل، ويتمتع بالمباح دون شطط أو

غلوّ، ودون أن يصرفه ذلك عن الغاية .. وهذه الفكرة هي التي أردتُ أن أوصلها إلى كل قاريء ليشعر معي بأن البيت المسلم كالجسد الحيّ .. ينبض كل ركن من أركانه بالحياة ويوحي بها بداية بعمّاره ونهاية بكل قطعة أثاث من أثاثه أو حجَر أو نقش في جدرانه.

وقد أوْلَى الإسلام البيت رعاية كبيرة منذ نشأته الأولى حين يولد وتولد معه حياة جديدة لزوجين عروسين كل أملهما العيش في سعادة وسلام، تلك السعادة التي كفلها لنا ديننا ما التزمنا بالمنهج وسرنا على الطريق، ولم يحظ بهذا الإهتمام في أي نظام أو قانون، فقد اهتم ببنيانه أيّما اهتمام، وجعل لكل من فيه حقاً وعليه واجباً، أباً كان أو أمّا، زوجة أو زوجا، إبنا وإبنة، فالكل مسئول وإن تفاوتت المسئوليات، والشركة قائمة بين جميع أفراده، وعلى قدر

تفانيهم أو تقاعسهم في أداء الحقوق يكون الربح أو الخسران .

ولما كانت هذه الحقيقة المهمة قد غابت عن الكثيرين منا في هذه الأيام مع عدم التعرف على الحقوق والواجبات قبل الزواج من مصدرها الصحيح، وتقلص دور الوالدين بسبب الخروج للعمل أحدهما أو كلاهما نظرا لطغيان المادة الذي فشى وانتشر، وكثرة الأشغال وطلب الرزق معظم الوقت، مما أدى إلى ظهور آفات لهذا الإنشغال والتقصير، فظهرتْ الخلافات الزوجية وكثرتْ حالات الطلاق وزادت معدلات العنوسة وهذا ولا شك له أسباب حاولتُ أن أتعرض لبعضها بدءًا من سوء الإختيار ونهاية بالظلم من أحد الزوجين أو كليهما والذي قد ينتج عنه الإنفصال، لعل ذلك يسهم ولو بقدر ضئيل في التعريف بالحقوق والواجبات ويساعد على أدائها، راجية من الله عز

وجل أن يقبل هذا العمل ويرزقنا فيه الإخلاص، وأن ينفع به، وما كان من صواب فمن الله فله الحمد والمنة، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان أسأل الله فيه العفو والغفران إنه ولي ذلك وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإنني إذ أقدم ذلك العمل المتواضع أتقدم بمزيد من الشكر والإمتنان لكل من له فضل عليّ وكان سببا في ميلاد تلك الحروف وإيصالها لقارئيها من والدين ومعلمين ومعلمات، وأخص بالشكر زوجي الحبيب الدكتور أحمد عيسى - بارك الله فيه- الذي دفعني بحسن توجيهه واستمرار حثه لي على الكتابة إلى المزيد منها والإستمرار فيها، وكان نعم الزوج المعين ..

وكذلـك لا أنسى أن أقــدم شكري لأستــاذي الكريم الأستاذ يحيى رســام - حفظه الله- وقد كان سببا في إيجاد

الفرصة لي للكتابة عن طريق مجلة الحوار التي كانت تصدر ببرمنجهام ويرأس تحريرها وكان لي شرف الإنضمام لهيئة التحرير كعضو فيها وكاتبة، مع تشجيعه وحسن نصائحه فجزاه الله عني خيرا ، كما أتقدم بخالص المحبة والود والعرفان لأبنائي الأحباب صالح، أماني، كارم، إسلام، وقد أعانوني على التفرغ للكتابة في ساعات النهار أو الليل المختلفة.. وصبروا على ذلك فجزاهم الله خيرا.

أما مجلتنا .. مجلة المجتمع الغراء فلها مزيد من الشكر والإمتنان وقد قامت مشكورة بتبنّي هذا الإصدار، الذي جمع بين دفتي الكتاب ما سبق نشره في المجلة تباعا تحت عنواني سلسة البيت الذهبي، وسلسلة أثاث البيت.

والشكر موصول للقائمين عليها وعلى رأسهم الأستاذ الكريم شعبان عبد الرحمن، مدير التحرير، الذي كان له دور كبير في تشجيعي على الكتابة من خلال نشره لما أكتب

في المجلة فبارك الله فيه وفي كل العاملين عليها وأعانهم دوما على نشر الكلمة الطيبة والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة..

وفقنا الله جميعا لما يحب ويرضى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

إيمان مغازي الشرقاوي
برمنجهام.. بريطانيا



1

إنتبه عندما تريد الزواج



هل مررت يوما بصحراء قاحلة، لا زرع فيها ولا ماء، تعصف بك الريح تارة، والجوع تارة أخرى، وتتعثر بك الخُطى حينا من الوقت، وبينما أنت على تلك الحال إذ بفرج الله يأتي، ويمنّ الله عليك فينتهي بك المطاف إلى واحة خضراء مليئة بخيرات الله تسرّ الناظرين، وتبهج السائرين، ومنها يتبلّغ المسافرون إلى ما شاء الله، بعد أن يتركوا خلفهم أثرا يدل على سيرهم في هذا الطريق يوما ما...؟!

وهل تذوقت حلاوة الشبع ولذته بعد أن كابدت مرارة الجوع والحرمان، فسكنتْ نفسك بعد اضطراب، واطمأنت روحك بعد خوف وشتات، وهدأت فرائصك واستقرت بعد طول ارتعاد؟

كذلك هو الزواج.. سكينة للنفس وراحة للفؤاد.. سكن للروح وحياة طيبة للأجساد.. وهو الواحة الخضراء في صحراء الحياة، يتمتع فيها المحبون فتمتزج أرواحهم بحب ووداد، بعد أن أخذوا على أنفسهم العهد والميثاق أن يعيشوا معا على كلمة سواء، لا اعوجاج فيها ولا التواء، وتعاهدوا معا على رعاية تلك الواحة الغنّاء لتستمر خضرتها وتورق أشجارها، وتخرج ثمارا وبذورا طيبة، وغراسا صالحة تثقل في الميزان وتجود بالربح الوفير.

نعم.. إنها آية الزواج .. قارب العبور في خضم الأمواج.. إنه المودة.. الرحمة.. السكن.. التآلف.. المشاركة بالقلب

والجسد، ألا ما أعظمها من حياة بعيدة عن حياة العبث والحرام، تتحقق فيها تلك المآرب والأهداف، ومع ما فيه من تضحية وإيثار، وحبس للنفس عن التفلت من تبعاته ومسئولياته، فإننا نقول لكل من يريد الزواج : إنتبه عندما تريد أن تدخل من ذلك الباب! فهو أشبه بالقفص الذهبي الذي يغري بريقه الداخلين، لكن محبسه ليس كأيّ حبس وإنما هو حبس محبب إلى القلوب، وتشتاق إليه الأنفس وتحنّ! لذلك فإن لهذا الدخول تبعات، كما أن ذلك القفص الجميل محوط بقيود، وإن كانت ذهبية! فانتبه..لأن لداخله حقوقا، وعليه واجبات! ولا بد من دفع رسوم الدخول!

وحين تحسن النوايا وتتحابّ القلوب، وتكون المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان، في الرخاء والشدة، في اليسر والعسر.. وحين يصبح التأني والحلم والأناة، وحسن الظن والتماس الأعذار، والعمل لوجه

الله تعالى شعارا لنا في الحياة.. تسير سفينة الزواج بأمان، فإذا ما اعترضها عارض وتلاطمت الأمواج، وتعالت الصيحات ظهر الربّان الحكيم الذي يعرف فنّ القيادة وأصولها، وكيفية إدارة الدفة في اتجاهها الصحيح، فيأخذ بأسباب الأمان ويصل إلى الشاطيء بسلام..

وما أحسن القيادة التي تؤتي أكلها وتثمر ثمارها غضة طرية في كل حين، وما أعظمها إن كان التكليف بها من لدن رب حكيم عليم، رحيم بعباده، وهنيئا لمن قام بما كلف به دون تقصير، ويا لخزي وندامة من لم يقم بما عليه حق القيام في يوم يشيب من هوله الولدان، والجزاء من جنس العمل والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

لقد كلّف الله سبحانه الرجال بقيادة دفة الأسرة، وخصّهم بدرجة القوامة، قال تعالى :

} ! " # $ % & ' (

) * + , - . . { [النساء:34]. وهي ليست قوامة تشريف بقدر ما هي تكليف وتبعات ومسئولية، و ليست قوامة تسلط وتعنت وجبروت، بل رعاية وعناية وإحسان، لا ضرر فيها ولا ضرار.. قال < :" **من ضارّ ضارّه الله، ومن شاقّ شقّ الله عليه**".. وقال:" **لا ضرر ولا ضرار**" [1].

ومن هذا المنطلق ننطلق معا ونجتاز تلك البوابة لندخل ذلك البيت الذهبي الذي من حرم دخوله تمنى لو عاد قطاره إلى محطته السابقة ليحطّ برحاله هناك أمام ذلك الباب ليصبح آمنا في حصن حصين من الشيطان الرجيم... لذا فقد قال رسولنا < : " **من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني**" [2] .

---

(1) رواه ابن ماجه .

(2) رواه الحاكم .

وقديما قالوا :

من خير ما يتخذ الإنسان في دنياه كيما يستقيم دينه... قلب شكور ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينه.

إنه الزواج.. العفة والطهارة والإحصان.. المودة والرحمة والأمان.. السكن والأنس والإطمئنان.. من رُزقه ووُفق إليه نال من الخير الكثير، وهو أخذ وعطاء.. حقوق وواجبات.. إيثار وإنكار للذات.. وقبل ذلك طاعة وعبادة وقربة من أجلّ القربات.. به تُطلب الرحمات وترفع الدرجات. قال رسـول الله < : " **إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما**" (1) .

(1) رواه ميسرة بن علي ورمز له السيوطي بالصحة.

تُرى أخي الزوج.. أختي الزوجة.. متى نظر كل منكما للآخر نظرة الرحمة تلك؟!ومتى أخذ كل منكما بكفّ شريكه أخذ عطف ورعاية ومحبة ليكون جزاؤه عند الله من جنس عمله؟ قد يكون ذلك العمل هامشيا في نظر البعض لا أثر له في موازينهم، لكنه نظر في غير موضعه، فكل ما من شأنه جلب : فهو عند الله عظيم.. هي نظرة ولمسة تنزل الرحمات، فما أعظم تلك النظرة، وما أروع تلك اللمسة!!

وإن كان الأمر كذلك فما بال أقوام جعلوا من ذلك البيت الذهبي المليء بالرحمات قيدا حديديا تُكبّل به الأيدي، وتُهان بسببه النفوس، وربما تملّه وتتمنى الفكاك منه بأي سبيل كان وبأي ثمن يُدفع؟! ما هو الخلل إذن؟ وما هو الداء؟ وأين نجد الدواء؟ فوالله إنه لشيء عجاب أن تنقلب الموازين وتتحول جنبات البيت الآمن الذي

يريده الله كروضات الجنات إلى أرض مستعرة تقذف حمماً بركانية ثائرة تأكل الأخضر واليابس من أمن الدار، وإلى نار تلظّى تتأجج بالليل والنهار! تُرى ما السبب؟ وكيف نتحول بالزواج وبالبيت إلى ما يتمناه كل إنسان سليم الفطرة سويّ التفكير، فيصبح روضة تسر الناظرين، وبستانا يضم أحسن الورود وأطيب الرياحين بدلا من أرض جدباء لا تأتي إلا بالأشواك والهشيم..

لقد أوصى الصحابي الجليل **أبو الدرداء** رضي الله عنه زوجته فقال لها:" **إذا رأيتني غضبت فرضني، وإن رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب**".. نعم .. إنها الصحبة الطيبة التي تعرف أن لها حقا، وللآخرين حقوق... فتعطي قبل أن تأخذ، وتعرف لكل ذي حق حقه... الحياة شركة مشتركة، والحقوق والواجبات فيها كثير.

ولمّا كان البيت المسلم هو النواة في الأمة المسلمة، ومتى صلح قويت الأمة، فجدير بنا أن نصلح النواة ونحوطها بسياج الرعاية والريّ والإهتمام، بعيدا عن الآفات التي تحد من صلاحيتها أو تؤثر فيها. ولما كان الزوج هو رب الأسرة وقيّمها كما أوضحنا، وبه يقتدي أهل بيته ومنه يتعلمون، فلا بد أن يكون على عاتقه الحمل الأكبر من الرعاية والمعرفة التامة بالحقوق والواجبات، وإذا علم ذلك أتبع علمه بالعمل... وفي سلسلة البيت الذهبي يكون مسيرنا فيها معا على الطريق من أجل أسرة مسلمة سعيدة مستقرة، بعيدا عن آفات الجهل بالحقوق والواجبات، نتطرق معا لبعض المؤثرات على تلك الأسرة سلبا وإيجابا، من أجل بناء أقوى وزواج أبقى.

2

الميثاق الغليظ



دخل العروس ممسكا يد عروسه وهو سعيد قرير العين، وها هما يجتازان معا تلك البوابة الذهبية لبيتنا المذهب! هنا ستذوب الفوارق، وتتحد الأرواح، وتمتزج النفوس، ليصبح الزوجان نفساً واحدة في جسدين! وروحاً واحدة في نفسين! وقلبا واحدا في زوجين!

سيكون كل منهما لشريكه لباسا يستر عورته، ويزين مظهره، ويخفي عيوبه!! وما أجمل هذا اللباس، وما أغلاه

وأعلاه إن طهر وكان مطابقا لصاحبه بلا خوف أو التباس.. وهنا أيضا ستزال كل الأقنعة بالتدريج! نعم.. سيزيل كل من العروسين القناع عن وجهه تدريجيا، وشيئا فشيئا يظهر بصورته الحقيقية دون مجاملات أو تزييف، أو مبالغة في الأقوال والأفعال.. وستظهر الصورة بوضوح دون خداع للنظر، وستر ُ ى الأشياء بمنظار الحقيقة ويُعرف الفرق بينها وبين السراب..

لقد كانت فترة ما قبل الزواج –الخطبة أو العقد– زمن دلال وتصنّع، وأماني وأمنيات وأحلام وردية، أما الآن فإنها أمانة ومسئولية، وعمل وجديّة.. وسيظهر كل منهما على صورته الأصلية دون تقمص أي شخصية سوى شخصيته الحقيقية..

تُرى هل أحسن الزوج اختيار شريكة حياته التي أخذت منه عهدا وميثاقا غليظا استحل به منها ما يحرم على

غيره، وأعطى له حقا في حياتها معه حياة دائمة؟ .. قال تعالى: ﴿ ; < = > ﴾[النساء:21] .

جاء في تفسير ابن كثير: أنه العقد. وقال سفيان الثوري: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي < قال في خطبة الوداع:" **واستوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله** ".

فهلا تأمل الزوج كيف وصف الله تعالى هذا الميثاق بأنه غليظ، تماما كما وصف سبحانه الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام، والميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل، لقوته وعظمته.. كيف بعد هذا كله يستهين الزوج بهذا الميثاق الغليظ؟! .. يقول < :" **إستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عندكم عوان**" أي أسيرات [1] .

---

(1) رواه الترمذي.

تُرى هل ستعينه بدينها وتقواها على القيام بحقوق ومتطلبات ذلك الميثاق الغليظ؟

وهل ستزيل القناع عنها لتظهر بصورة أنقى وأتقى مما كانت عليه؟

وهل سترفع النقاب عن زوجة تجيد فنّ الحياة الزوجية وحسن التبعل لزوجها، وتعي الوصية التي أوصت بها أسماء بنت خارجة ابنتها حين قالت لها : **" إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرتِ إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له مهادا يكن لك عمادا، وكوني له أمة يكن لك عبدا..." .**

وهل انتبه الزوج عند اختياره واحتاط لنفسه، بل لدينه ودنياه، فلم ينكح كما يقول العرب **(لا أنّانة – أي كثيرة الشكوى والأنين بلا سبب – ولا منّانة – التي تمنّ على زوجها – ولا حدّاقة – التي ترى كل شيء بحدقتها**

فتشتهيه وتكلفه ما لا يطيق - ولا برّاقة – التي لا همّ لها إلا صقل وجهها وتبريقه – ولا شدّاقة – أي كثيرة الكلام)؟

وهل حقا ظفر في ليلته تلك بخير متاع الدنيا الذي حث عليه رسول الله < حين قال:" **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**" [1] .

وهل أحسنت الزوجة عندما وافقت على الزواج من هذا الشريك وهو القوّام عليها، حين فضلته على غيره بما توسّمت فيه من خصال الخير وظهور سمات المتقين، ورضيت به امتثالا لأمر رسول الله < :" **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**" [2].

فهل هو ذو دين وخلق وتقوى يساعدها على القيام بحقوق الزوجية تحقيقا لسعادة دنيوية، ومن بعدها حياة

(1) متفق عليه .

(2) رواه الترمذي.

طيبة أبدية في جنات الخلود؟ وهل يجعله خلقه ينصف زوجته من نفسه ويعرف لها حقها، ويعينها دائما على الخير ويحجزها عن الشر؟ وهو جنتها ونارها!! أم أنها لم تحسن الإختيار؟..

ها هما العروسان يمسك كل منهما بيد الآخر ليجددا عهدا، ويخلصا نية ووُدّا، ويجعلا من عادة الزواج عبادة حين يعرفان الهدف السامي والغرض الحقيقي من ذلك الرباط المقدس.. ألستَ معي أنه حين تعرف الحقوق فتُعطى وتعرف الواجبات فتؤدَّى، يكون الغرض من الزواج قد تحقق وأثمر وآتَى أكله، فتصبح المرأة عونا لزوجها على طاعة الله، وتخفف عليه من متاعب الحياة، ويصير الرجل لزوجته المعين على أمور الدنيا والدين؟

.. انظروا... إنها يتعاهدان على أن يحسن كل منهما العشرة لصاحبه إذ ما قيمة الحياة بدون الصحبة الطيبة

والعشرة الجميلة.. وما جدوى الزواج بلا آية المودة والرحمة.. قال تعالى: ﴿ Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f ﴾ [الروم:21] .

أما إذا ما توشّح الغلظة، ولبس لباس الفظاظة والقسوة، وارتدى رداء الجهل بحق حسن العشرة، كان حبلا غليظا حول الأعناق يقطع أنفاس المودة، ويمزق أوردة الرحمة التي تنبض بالحب والحياة...

ألا ما أعظم هذا الدين الذي جعل من العشرة بالمعروف حقا لكل من الزوجين على الآخر.. وجعل من الكلمة الطيبة صدقة ..قال <:" **الكلمة الطيبة صدقة**" [1].

(1) رواه البخاري .

ومن البسمة صدقة .." **تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**" (1)

ومن حب الآخرين كمالا للإيمان.." **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**" (2) .

ومن الزواج أعظم القربات والعبادات..." **من أماثل أعمالكم إتيان الحلال**" (3)

" **وفي بُضع أحدكم صدقة**" (4) .

ها هي تأخذ بيده.. إنها تذكّره.. إنها تستحثّ إيمانه بقوله <: " **الله الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** " (5).

---

(1) رواه الترمذي

(2) رواه مسلم.

(3) رواه النسائي .

(4) رواه النسائي .

(5) رواه الترمذي .

إنها تثير نخوته.." **وخياركم خياركم لنسائهم**" [1].

هي الآن تحس بضعفها وغربتها بعد أن فارقت الأهل والأحباب والعشيرة.. فهل سيكون لها من قوته عزّة، ومن عزّه عزوة، ومن حبه ورعايته نصيب؟ ها وحيدة معك أيها الزوج الرفيق بين جدران أربعة ليس معكما في خلوتكما إلا الله، فلا تجعله أهون الناظرين إليك، بل عظّمْه في قلبك يحنّ قلبك ويرقّ على زوجتك، تذكّر قدرته عليك تضعف قوتك أمام ضعفها وانكسارها منذ ولدت إلى أن ساقها الله إليك.. قال < : " **إذا وُلدتْ الجارية بعث عز وجل إليها ملَكا يزف البركة زفا، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيّم عليها مُعان إلى يوم القيامة** " [2].

---

(1) رواه الترمذي.

(2) رواه الطبراني . .

ترقّب ما عند الله من الخيرات يهون التعب في سبيل إسعادها، إعرف حقها عليك يعم الخير بين يديك.. ﴿ h i j k l ﴾ [البقرة:228] .

إنها الآن في حوزتك فأرها من نفسك خيرا، وكن لها زوجا وأخا، وأبا وأما، كن بها بارا رحيما، وأخلص قبل ذلك كله لله النية.. قال رسول الله < : " **إني أحرّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة** " [1].

ها هو يمسح على ناصيتها ويدعو بالبركة، سيلتحم كل منهما برفيــق دربــه، وشريك حياته، وسيكون كلاهما لباسا للآخر.. وها هما يبدآن ليلتهما المباركة بالصلاة.. صلاة ركعتين خالصتين لله ...



(1) رواه الحاكم .

3
الحقوق والواجبات



"سيكون كتاب الله منهجنا ورائدنا... وسنأخذ من رسول الله < مثلنا وقدوتنا.. سننهج نهجه، ونقتفي أثره، ونحكّمه هو وكتاب الله في كل صغيرة وكبيرة"..

هكذا قال الزوجان **(العروسان)** ذلك القول بعد أداء صلاة ركعتين لله.. بادر الزوج عروسه قائلا: سأضع أمام عيني وناظري وصية رسولنا الكريم <: **"استوصوا بالنساء خيرا"**[1]. سأنقش تلك الوصية في قلبي، وأحفظها

---

(1) رواه مسلم .

في نفسي، وأصورها في عقلي، وأذكرها ليلَ نهار.. نعم .. وسأكون لك يا خير الكنوز، ويا خير المتاع، من خير الرجال.. وسأصبح- بعون الله- نعم الزوج والصاحب والرفيق استجابة لرسول الله < ، وقد نويتُ والأعمال بالنيات، وسأتبع النية بالعمل، فليتقبل الله ...

- وأنا سيكون شعاري في حياتي معك منذ الآن:"... **فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك**"[1].. و " **وهذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى**"... سأكتب ذلك على لوحة جميلة وأزين بها غرفتي من باب التذكرة لي، فلقد وعَى عقلي ذلك، ونُقِش على صفحة قلبي، ورسخ في وجداني هذا الحديث الشريف منذ كنت طفلة ووعيت لأرى أمي – بارك الله فيها – وهي لأبي الزوج والسكن والأنس والرحمة وكل شيء. لذا فأنا لك

(1) رواه النسائي .

سأصير بمنزلة القلب، مع كل دفقة دم ينبض بالرحمة والحب.. مع كل نبضة عرق..

هكذا ذكّرنا هذان الزوجان بالقاضي الفاضل **(شريح)** - يرحمه الله – حين تزوج وقال يحكي للشعبي عن زوجه وامرأته :

"منذ أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت منها حسنا فاتنا، وجمالا نادرا، قلت في نفسي: فلأطهر وأصلي ركعتين شكرا لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها، فمددت يدي نحوها فقالت: **"على رسلك يا أبا أمية، كما أنت"** ثم قالت: **"الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبيّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه"** وقالت: **"إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي**

قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله به، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك".. قال شريح: فأحوجتني والله – يا شعبي – إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت:

"الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على النبي وآله وأسلم، وبعد: فإنك قلت كلاما إن ثبتّ عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها... إلى أن قال: فمكثت معي عشرين عاما لم أعقب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالما".

وهكذا وضع الزوجان **(العروسان)** أولى لبنات زواجهما الطيب المبارك على قواعد طيبة قوية من التفاهم والمحبة، بدآها بالعهد على الوفاء بحقوق الميثاق الغليظ

الذي أشرنا إليه من قبل والذي نحن الآن بصدد وضع بنوده وتعاليمه وأسسه كما وضحها لنا رسول الله < . وإن الناظر بعين الحق والعدل إلى الزواج ليجد أن الله تعالى لم يشرع هذا الزواج لكونه مجرد متعة قد تزول بعد حين، أو شهوة قد تنقضي بالحصول عليها، ولا لكونه نزوة سرعان ما تنتهي، بل جعله رباطا مقدسا، وأحاطه بسياج من التعليمات والتبعات، والحقوق والواجبات، منذ أول لحظة تمّ فيها، حتى أن الزوجين يتوارثان بمجرد العقد، وتعتدّ المرأة على زوجها إذا مات قبل أن يدخل بها عدّة الوفاة، وما ذلك إلا لعظم هذا الميثاق، والأعظم من ذلك أنهما يجتمعان في الآخرة معا في جنة الرضوان برحمة الله تعالى... وكما هو معروف أن الأعطيات تتبعها في العادة تبعات، والمنح لا بد لها من شكر وأخْذٍ حسَن، ومن أخذ فعليه أن يعطي، ومن

أعطى فليجزل العطاء ويحسن ويزيد، وهكذا فمن كانت له حقوق فإن عليه كذلك واجبات.

تعاهد الزوجان على وضع البنود الرئيسية لتلك الوثيقة الربانية، والبنود والآداب الشرعية لذلك الميثاق الغليظ.. مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه < ومتمثلة في ما يلي:

أولا : آداب وحقوق مشتركة بين الزوجين :

- الإخلاص لله تعالى في حياتهما الزوجية وفي سائر الأعمال.
- التعاون على طاعة الله، والنصيحة في ذلك.
- فهم كل منهما لنفسية شريكه ونصفه الآخر.
- المعاشرة بالمعروف وحسن الخلق.
- المشاركة القلبية والعملية في الأفراح والأحزان.

- غضّ الطرف عن الأخطاء والزلات واسترضاء كل منهما الآخر.

- حفظ كل منهما للآخر، وذكر محاسنه، وستر عيوبه.

- حفظ الأسرار في خزانة الستر والكتمان.

- تزين كل منهما للآخر، وتحقيق العفة والإحصان.

- لكل من الزوجين ذمة مالية مستقلة تعطيه حرية التصرف في ماله.

- التعاون في صيانة البيت والأعمال المنزلية.

- التعاون في تحمل أعباء الأسرة وتربية الأولاد وصلة الأرحام.

- التعاون في طلب العلم والثقافة العامة ومعرفة الحقوق والواجبات.

- حل الخلافات بالطرق السلمية وتحكيم كتاب الله عند أي خلاف.

- شكر الله على نعمة الزواج، وتحقيق المودة والرحمة بشتى الطرق الشرعية.

- إعتراف كل من الزوجين بالفضل لشريكه والتعبير عن ذلك ولو بكلمة طيبة.

- التعبد لله بالزواج وتبعاته.

ثانيا : الحقوق والواجبات

| الــزوج :-

1- **النفقة**: (**بداية بدفع المهر**): قال تعــالى: ﴿ s

t u v ﴾[النساء:4] وقــال > : " **ألا وحقهــن عليكــم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن** " [1] .

2- **المسكن... لقوله تعالى**: ﴿ ! " # $

% & ﴾[الطلاق:6] .

---

(1) رواه الترمذي .

3- **وقايتها من النار... لقوله تعالى:** ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:6].

4- **المعاشرة بالمعروف... لقوله تعالى:** ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء:19] ومما قيل في معاني هذه المعاشرة:

- طيبوا أقوالكم وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم فكما تحب ذلك منها فافعل أنت لها مثله.

- النصفة في القسم والنفقة، والإجمال في القول والفعل.

- أن يكرمها بما يرضيها ويكرمها في أهلها.

- أن يستمع حديثها ويحترم رأيها.

- أن يحسن خلقه معها ويحتمل الأذى منها.

- أن يتصنع لها كما تتصنع له.

- أن لا يضربها ولا يسيء الكلام معها، ويكون منبسط الوجه معها.. **"خيركم خيركم لأهله"** [(1)] .

5- **القوامة** : وهـــي قوامـة تكليف وليست للتسلـط أو التجبر.. قال تعـــالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . ﴾[النساء:34]..

تلزم هذه الآية الرجل بحماية المرأة والدفاع عنها والإنفاق عليها، يقول القرطبـي: "مبتـدأ وخـبر، **أي يقومـون بالنفقـة عليهن والذب عنهن**".

| الزوجة :-

1- لا تكلفه ما لا يطيق.. تحفظ ماله ولا تتصدق منه إلا بإذنه..لقوله <: "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها" [(2)] .

---

(1) رواه ابن ماجه .

(2) متفق عليه.

2- **المتابعة في المسكن، عدم الخروج إلا بإذنه.**

ففي الحديث: "ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه" [1] .

3- **لا تأذن لأحد في بيته وهو كاره:لقوله** عليه السلام :

"ولا تأذن في بيته إلا بإذنه" [2] .

4- **حفظه في دينه وعرضه**.."وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله" [3] .

5- **طاعته في المعروف**..."إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت بعلها قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت" [4] .

---

(1) رواه الطبراني.

(2) رواه البخاري .

(3) رواه ابن ماجه .

(4) رواه الطبراني .

6- **استرضاؤه والتودد إليه...**" أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" [1] .

7- **الاعتراف بفضله...**"لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه" [2] .

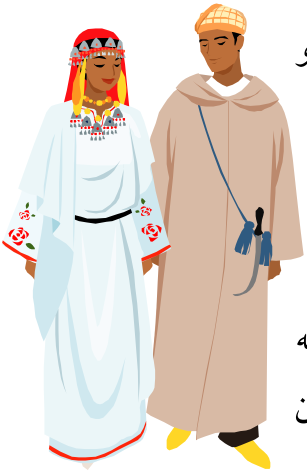


(1) رواه ابن ماجه .

(2) رواه النسائي .

4

إني رُزقتُ حبّها



بدتْ مبتهجة سعيدة، تبدو عليها علامات الرضا والسرور وسط صديقاتها، إذ أنها تتوشح ذلك الوشاح الذهبي الجميل الذي يلف كل زوجين ما اتقيا الله وسارا على منهاجه... كان لسان حالها يوحي لهن ويقول ما قالته السابقات: زوجي يدخل عليّ بسّاما، ويخرج بساما، إن سألتُ بذل، وإن أعطى أجزل، وإن أذنبتُ غفر، وإن أحسنتُ شكر، عوني في الشدائد بعد الله، إن غضبتُ عطف، وإن مرضتُ لطف، لِما عناني (أهمني) كافٍ، لا يملّ طول العهد، وهو الشعار

(الثوب) حين أجرد، والأنس حين أفرد، والسكن حين أرقد، فلله الحمد والمنة.. إنها أحست واستشعرت نعمة الحبّ والودّ الذي يظلل حياتها الزوجية مع زوج يحبها ويتقي الله فيها.

لقد ذكّرني ذلك " **بأم زرع**" التي قصت حكايتها السيدة عائشة – رضي الله عنها – على رسول الله < في حديث طويل ختمه خير الناس لأهله بقوله الكريم" **كنت لك كأبي زرع لأمّ زرع**"... كم هو جميل ذلك الحب الذي يسمو ويرتفع على المصالح والمطامع فيكون خالصا لوجه الله، وكم هي جميلة تلك المحبة التي ترتفع على الأنا وحبّ الذات ليتلاشيا ويحل محلهما الإيثار والحب الكبير.. جميلة تلك الوشائج التي تترجم إلى أقوال وأفعال تدل على وافر المحبة والوداد.. إن نعمة الحبّ من النعم العظيمة التي تحتاج إلى ريّ ورعاية، ولِمَ لا؟ فهو سبب لمحبة الله عز وجل واتباع

رسوله الكريم <، وهو حبل التواصل والتآلف بين الناس، وبه يرتقي المحبون في الله منابر النور يوم القيامة.. فما أعظم هذا الحب إن كان خالصا وما أجزل ثوابه عند الله ... وإن أصحاب تلك القلوب الدافئة العامرة بالحب الممزوج بالإيمان لهم أقدر الناس على العطاء حين يفوح عبقهم عبر الآفاق، وحين ينتشر دفء قلوبهم ليعم الجميع.. ومنهم الزوج المحبّ لزوجه المتودّد إليها، والزوجة الودود لزوجها، وهو حبّ مأجور صاحبه غير مأزور ما لم يعطل طاعة أو فريضة لله، ولا نعني بالحب ذلك الشعور الأهوج الطائش الذي يلتهب فجأة وينطفيء فجأة، إنما هو التوافق والتقارب الروحي، والإحساس العاطفي النبيل بينهما... حب وتعاطف ينمو ويزيد ويقوى

مع مرور الأيام، ولقد جعل الله الزواج سكنا يجلب المـودة والرحمة، فقـال: ﴿ Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f ﴾[الـروم:21] ...

فليست المودة هي التي تنشيء الزواج، إنما الزواج هو الذي يثمر المودة ويورق المحبة والرحمة بين الزوجين إذا قام عـلى أساس متين صحيح حسب ما شرع الله وأراد ، وقـد امـتنّ الله على الزوجين بآية المودة والرحمة لما لها من عظيم الأثر في دوام واستمرار الحياة الزوجية، ولا أدل على ذلك من قول المصطفى < واصفا النساء من أهل الجنة: **"الودود الولـود العؤود على زوجها، التي إذا غضبت جاءت حتى تضع يـدها في يد زوجها، وتقول: لا أذوق غمضا حتـى تـرضى"** [1]... فقـدّم

(1) رواه النسائي .

الودّ على بقية الصفات إذ هو مدخل وطريق إليها جميعا وهي تابعة له.

لكننا في كثير من الأحيان نعاني من جدب في منابع المحبة، وقحط وجفاف في أرض العواطف، فإذا بالحال ينقلب من ودّ وصفاء إلى كره وبغضاء، وكدر وعناء، ومن عواطف دافئة إلى عواصف عاتية تعبث بكل صغير وكبير بأرض الأسرة، فيتهدم البنيان! فما السبب في ذلك الفراغ العاطفي الذي يعاني منه الكثير من أزواج وزوجات؟ وأين ذهبت المحبة وأيامها الخوالي يوم كانت الكلمة الطيبة هي الشعار، واللمسة الحانية هي الدثار، والبسمة الرقيقة قوة دافعة إلى الأمام، فتفرغ الزوجان إلى الرسالة الحقيقية التي من أجلها خلقا، ولأجلها يعيشان، ونبذا كل المشاكل ومعضلاتها وراءهما، وانصرفا من قيل وقال إلى معالي

الأمور، من تربيةٍ للأولاد على منهج الله، والنظر في جراحات الأمة، وقضايا المجتمع.

كيف نستعيد ذلك الحب المفقود ليعود للبيوت دفؤها وبريقها؟ وكأني ببعض القوم يصيح فيّ مستنكرا: أهذا وقت الحب؟! هل نحن مراهقون؟! ألا يكفينا ما نحن فيه من حوادث وأمور جسام، وما يحل بأمتنا من تفرق وانقسام، وتقولين لنا كيف نحب وكيف ننمي ذلك الحب!!! وأقول لهؤلاء جميعا إن ما أصابنا من دمار وويلات، وشقاق وجراحات إنما بدأ صغيرا بدمار الأسرة وخرابها وانقسامها بعد أن جفّ معين المحبة ومخزون المودة فلم يعد له نصيب فيها، ونسينا أو تناسينا أن المجتمع هو أسَر مجتمِعات، وأفراد وهيئات، ولا تقوم له قائمة إن لم تقم على منهج الله متحابة متآزرة متآخية، والمثل المشهور يقول" **فرّق تسُد**" دليل على ما أقول.. ألم يذكر الله تعالى الحب في

القرآن الكريم في أعلى درجاته - حب الله ورسوله - حين رفعه فوق أي حب، فقال﴿ Y Z [\ ] [﴾ [البقرة:165]

وربط بينه وبين الإتباع والطاعة مبينا ثمرته المورقة فقال: ﴿ > ? @ A B C D E ﴾[آل عمران:31].. ألم يتعبد المتعبدون ويسهر المتهجدون ويظمأ الصائمون حبّا لله؟ ألَم يستنّ المستنون برسول الله < حبا له ولله؟ ألم يبذل الشهداء أرواحهم حبا لله؟ كم من عابد وقانت، وراكع وساجد، وحامد وشاكر، أحبوا الله فتلذذوا بطاعته وعبروا عن ذلك الحب العظيم بتلك الأفعال والأعمال...إنه الحب...القوة الدافعة التي تفعل ما لا يفعل غيرها ما اقترن بالإيمان... والحياة الزوجية التي يسقط من قاموسها الكلمات الطيبة والمشاعر الدافئة، والمحبة الصادقة، هي حياة أَفَلتْ أنجم السعادة فيها وولّت إلى غير رجعة..

واتباع الزوجين رسول الله < في حياتهما معا يكـون باتبـاع منهجه والسير على خطاه في تلك العلاقة فلا يـشوبها ظلـم أو إهمال، أو بغضاء تؤدي لضياع الحقوق، القدوة في ذلـك رسول الله < الذي ضرب لنا المثل العظيم في الحب والوفاء إذ يسمي عام مـوت زوجـه خديجـة رضي الله عنها " **عـام الحـزن**"، ويحبها ويوقرها حية وميتة ولا يأنف أن يعلن ذلك ويقول" **إني رزقت حبها**"! بل إنه يعلن حبّه عائشة رضي الله عنها حين سئل عن أحب الناس إليه فقالها بـصراحة"**عائـشة**"، وهـا هـي تسأله وتريد أن تطمئن على منزلتهـا في قلبـه، كيـف حبـي عندك يا رسول الله؟ فيقول لها هو كالعقدة الوثقى - أو مـا معناه، فليس الحب عيبا أو ضعفا أيها الأزواج، وإنما تزلزل بنيان الأسرة واهتزت أركانه حينما فقد ذلك الشعور بالحب وفتر في النفـوس، فـاختفى أثـره باختفـاء مـا يـدل عليـه، فضعفت الأسرة وضعف لضعفها المجتمع. إن حب الزوج

لزوجه له أثر عظيم في نجاح مشروع الأسرة الكبير، والبيوت السعيدة هي التي تقوم على المودة والرحمة التي يجمع الله بها الأزواج في الدنيا، وفي الآخرة تقرّ أعينهم بطيب اللقاء في جنات النعيم.

من زهور المحبة:

- إخلاص النية، وطاعة الله ورسوله أساس لأي عمل.
- القاعدة الأساسية أن حب الله فوق أي حب.
- مما يجلب المحبة الإجتماع على ذكر الله واهب الحب.
- التوبة من المعاصي تعيد المحبة لأن الحب رزق والعبد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه .
- النصيحة في الله واجبة وهي تشعر بالحب إذا كانت بشروطها وآدابها.

| الكلمة الطيبة والثناء والشكر والامتنان أصل ثابت في قاموس الأسرة.

| الهدية الرمزية وإشعار كل زوج زوجه أنه محل اهتمامه وإعجابه.

| التحية الحارة في كل الأوقات بند مهم من بنود نشر المحبة.

| الحلم وكظم الغيظ والعفو والتسامح يولد المحبة في النفوس المؤمنة، كما أن معالجة الخطأ تكون برفق ولين ومحبة.

| ليتقبل كل زوج زوجه كما هو مع محاولة الإرتقاء للأفضل، والكمال لله وحده.

| حسن الظن والثقة، والاحترام المتبادل، والتفاهم، والمشاركة في الآلام، وترك السخرية والإهانة والألفاظ البذيئة، يسهم في بذر المحبة.

| إحترام كل من الزوجين أهل وأقارب الآخر والتشجيع على صلتهم وبرهم، والموازنة بين حب الزوج وحب الأهل.. شعارنا في ذلك" **فآت كل ذي حق حقه**".

من أسباب فتور الحب في الحياة الزوجية :

- النظر إلى الزواج على أنه عادة وليس عبادة.

- عدم قيام كل من الزوجين بدوره الحقيقي المكلف به.

- انشغال كل من الزوجين أو أحدهما بالعمل أو الدراسة أو الأولاد إنشغالا كليا.

- كثرة العتاب والإعتراض على بعض ما يفعله أحدهما من أعمال لا تضر بالأسرة (**كشراء بعض الأشياء والإعتراض على اختيارها**).

- كثرة المشاغل والإنشغال بماديات الحياة.

- الروتين في نواحي الحياة الزوجية المختلفة.

- وسائل الإعلام ولزوم بعض الأزواج الشاشة الصغيرة.

- تراكم المشكلات الزوجية وعدم استماع كل من الزوجين للآخر.

- عدم جلوس الزوجين معا جلسة انفرادية ولو لدقائق.

- عدم الإهتمام بالمظهر واعتبار ذلك أمرا لا ضرورة له.

- الحرج من إظهار مشاعر الحب بعد عمر طويل من الحياة الزوجية واعتبار ذلك عيبا.

وأخيرًا- أعزائي الأزواج – إن التقدم في السن لا يحول دون التعبير عن المشاعر الطيبة وإظهارها إذ أن طول العشرة يزيد من عمق المودة والرحمة.. وإن اشتراك الزوجين معا- أحيانا- في بعض أعمال المنزل والتي قد يظن البعض عدم أهميتها كترتيب المكتبة أو البيت أو العمل في المطبخ لهو من

أقوى أسباب تنمية الحب بينهما ولا سيما إن تخلل ذلك العمل حديث طيب أو حوار مرح، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها، عن الرسول < ما يعمل في بيته فقالت: "**كان يكون في مهنة أهله- يعني خدمة أهله – يقمّ بيته (أي يكنسه) ويرفو ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته**" البخاري.. وها هو عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - على شدته وقوته يقول: "ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي **(أي في الأنس والسهولة)** فإن كان في القوم كان رجلا..

كلنا يأمل ويتمنى أن يعيش سعيدا ويدعو لنا أحباؤنا وأهلونا أن تتحقق آمالنا، لكن السعادة لا تأتي عفوا ولا تنال بالتمني، بل إننا نشارك في صنعها بأيدينا، ونحققها بأعمالنا، فحدد هدفك في الحياة واتخذ الأسباب الموصلة إلى بناء أسرة متحابة يظللها الحب وتعلوها السعادة، تكن مبتهجا سعيدا.

5

هل آخذ من جيبه ؟

طافتْ أرجاء البيت تبحث عن شيء تضيّف وتقري به بعض الصديقات ، فقد كانت على موعد للقائهنّ .. أخذت الحيرة منها كل مأخذ، فهي تحب إكرام الضيف،



وذلك من شيم المؤمنين، لقد نفد ما معها من دريهمات ، وتريد أن تشتري بعض الحاجيات الضرورية للضيافة، كما أن حليب الأطفال قد نفد! ويعلم الله أنها لا تتكلف لضيفها، ولكن على قدر الجهد والطاقة... لم تجد لديها القِرَى اللازم والكافي لتقوم بذلك الحق الواجب، أخذت

تعبث وتفتش بعصبيّة في جيوب سترة زوجها علها تجد بعض المال .. سامحك الله يا زوجي العزيز .. أنت إنسان طيب، وزوج صالح لولا ما فيك من بعض البخل والشحّ .. سامحك الله، لم أكن أتمنى أن ألجأ إلى هذا الأسلوب لأختلس بعض الدراهم .. لكن ماذا أفعل؟ لقد حدّثته طويلا ليجعل لي ما يكفيني وأولادنا من مصروف فأَبى إلا البخل والإقتار .. بل والمنّ عليّ أحياناً بما ينفق، رغم أنني يعلم الله لا أوثر عليه أهلاً ولا ولداً، وهو إن أعطى فلا يكاد يكفي نفقات البيت والأولاد.. فإذا تحدّثت معه في ذلك صاح معترضا: المصاريف كثيرة .. البيت .. العمل.. السيارة.. الأولاد.. ألا تشبعين؟ ألا تكفّين عن كثرة المطالب؟! ألا تحبين شيئا غير النقود؟! أين النقود التي أعطاها لك أبوك حين جاءك زائرا يوم العيد!! هل أنت تأكلين النقود؟!

إرتعشت يدها وهي تخرجها من جيب سترته وقد قبضت على بعض النقود بينما لسانها يردّد: فليسامحه الله، وليسامحني معه.

لقد ذكّرتنا هذه الزوجة بالسيدة " **هند بنت عتبة**" رضي الله عنها حين جاءت رسول الله < تستفتيه قائلة:"**يا رسول الله .. إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم**"، فقال : " **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**" [(1)] .

وما أحسن ما أخذه ابن قدامة - / – من ذلك حين قال:"**وفيه دلالة على وجوب النفقة على زوجها، وأن ذلك مقدّر بكفايتها، وأن نفقة ولده عليه دونها بقدر كفايتهم، وأن ذلك بالمعروف، وأن لها أن تأخذ ذلك بنفسها، من غير علمه إذا لم يعطها إياه**" .

---

(1) متفق عليه .

نعم... فهناك من الزوجات كثيرات ممن حالهنّ كحال هند مع زوجها، وهناك من الأزواج من يدفع زوجته دفعا لفعل ذلك العمل الذي لو كان مع غير الزوج لعُدّ من السرقة!! فيدفعها ويلجئها لهذا ببخله وتقتيره وشحّه بالنفقة الكافية، فأيهما أكرم للزوج؟ أن يبسط يده بالخير، ويمدها بالمعروف الواجب أم يُؤخذ منه خلسة ودون علمه؟! وهو إن علم واكتشف الأمر فقد تسوء العاقبة ويحصل الشقاق والقطيعة والخلاف بل وربما الفراق!!

وهناك أيضا الكثير من الأزواج الذين علموا ما لهم وما عليهم فأدوا ذلك سخيّة به نفوسهم... ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للزوجات: إتقين الله في الأزواج واعملن بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:67] .

والبعض الآخر منهم يمتلك رصيدا من البخل في الإنفاق، وقصر يدٍ في العطاء فيقتر حيث ينبغي السعة، ويقبض ساعة البسط، فيؤدي عمله هذا إلى ضياع حقوق الزوجة والأهل والولد من النفقة وحسن الرعاية المادية، والله تعالى يقول: ﴿ . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾ [الإسراء:29].

أما علم هؤلاء الأزواج أن النفقة حق واجب للزوجة على زوجها بنص القرآن الكريم والسنّة المطهرة يلزم بها الزوج دون منّ أو تفضّل منه، وأن ذلك من أسباب تكليف الرجل بدرجة القوامة في قوله تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . ﴾ [النساء:34].وأن الرجل الباذل للصداق "**المهر**" بداية هو المنفق على بيت الزوجية الراعي له؟

قال تعالى: ﴿ F G H I J L M N O P Q R S ﴾[الطلاق:7] . وقال : ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ © رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة:233]. أي بما يناسب حال الزوجة ويليق بمثيلاتها من مستوى المعيشة ، وتقدير ذلك راجع للعرف .

واستمعوا معي لقول الرسول- < - حين سئل عن حق الزوجة فقال: **"أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تقبح الوجه، ولا تضرب"** [1] . قال البغوي: **(قال أبو سليمان الخطابي: في هذا إيجاب النفقة والكسوة لها، وهو على قدر وسع الزوج، وإذا جعله النبي - < - حقا لها، فهو لازم حضر أو غاب، فإن لم يجد في وقته، كان دينا عليه**

---

(1) رواه أبو داود .

كسائر الحقوق الواجبة، سواء فرض لها القاضي عليه أيام غيبته أو لم يفرض) .

والرجل مسئول يوم القيامة عن ذلك لقوله <- : "**إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى ليسأل الرجل عن أهل بيته**" [1] .

هكذا يعلمنا ديننا أن نفقة الزوجة حق واجب لها على زوجها وهي تشمل الطعـام والشراب والملبـس وما تحتاج إليـه لقـوام بدنها وقوته، ويحث رسول الله - <- على أداء ذلك على أكمل وجه فيقول: " **ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**" [2].. نعم أخي الزوج.. **(أن تحسنوا)** فهل التقتير والتضييق في الإنفاق يُعَدّ إحسانا؟؟ وهل البخل على الأولاد والزوجة والأهل

(1) رواه النسائي.

(2) رواه الترمذي.

بحاجتهم من ضروريات الحياة من الإحسان ؟؟ فاحذر التقصير رعاك الله ولا توجد ثغرة للشيطان ينفد منها فيهدم الصرح ويهز أركان عشّكم الهانىء بطاعة الله .. ولا يخفى أن بعض الزيجات قد تفشل بسبب الخلافات المادية التي يمكن للزوج أن يتجنبها.

وإلى كل زوج قام بحق الزوجية فأحسن القيام، نذكر له هذه البشارات النبوية والجوائز الربانية فقد قال رسول الله- <: **"إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة"** [1] . وقال:" **دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"** [2]، وقال: **"ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة،**

---

(1) متفق عليه .

(2) رواه مسلم .

وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة في فيّ امرأته" [1] **.** فيا للبشرى... هو حق واجب على الزوج ومع ذلك هو له صدقة، فما أعظم بركة هذه النفقات وما أكثر تلك الصدقات !!

إن الله تعالى حين شرع الزواج جعله سكنا ورحمة وألفة، وأحاطه بتعاليم وواجبات تحميه وتحافظ عليه، والرجل والمرأة مسئولان معا عن هذه التعاليم، وللرجل درجة القوامة، والمرأة سواء كانت أما أو أختا، زوجة أو بنتا، فهو قيّم عليها منفق مما آتاه الله، وإن كان فقيرا، ولا يلزمها من النفقة إلا ما كان عن طيب نفس منها، وما علمنا المرأة الصالحة إلا مؤازرة لزوجها معينة له ، قدوتها سيدة النساء خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها - التي كانت عونا لزوجها رسول الله- < - على أمرالله، ولم تبخل عليه بجهد

---

(1) متفق عليه .

أو مال..لكن أن يجبرها الرجل على ذلك فلا..إذ أن المرأة تحب أن ترى زوجها قائما معها بما فرضه الله لها من حقوق .. فلا تبخل أيها الزوج ولا تضيق على أهلك حتى يكون ذلك طاعة لله وقرة عين لك، وكن ذا جود وكرم ومروءة فإن ذلك يسعد النساء، ويجلب الحب والصفاء، وتفضله المرأة على الجمال والبهاء...

ومن طرائف ما يروى في بخل الرجل وشدة محاسبة أهله ما حكاه ابن الجوزي في كتابه "**الأذكياء**" أن المغيرة بن شعبة وفتى من العرب خطبا امرأة، وكان الفتى جميلا، فأرسلت إليهما المرأة، فقالت: " **إنكما قد خطبتماني، ولست أجيب أحدا منكما، دون أن أراه، وأسمع كلامه، فاحضرا إن شئتما**" فحضرا، فأجلستهما بحيث تراهما، وتسمع كلامهما، فلما رأى المغيرة الفتى وحسن هيئته يئس منها وقال إنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى – وقد فكر في

مخرج - فقال له: "**لقد أوتيت جمالا وحسنا وبيانا، فهل عندك سوى ذلك**" ؟ قال: "نعم"، فعدّد محاسنه، ثم سكت، فقال له المغيرة: "**كيف حسابك**"؟ قال: "**ما يسقط عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة!**" فقال له المغيرة:

"**لكني أضع البدرة- والبدرة كيس يكون فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار- في زاوية البيت، فينفقها أهلي على ما يريدون، فما أعلم بنفادها، حتى يسألوني غيرها**".. فقالت المرأة في نفسها : "**والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحبّ إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثل صغير الخردلة**" فتزوجت المغيرة .



6
الخلافات الزوجية



أخذ الهمّ منها كل مأخذ وهي تنظر حولها فترى حلما يتبدد، وكبدا يتفطر! وعينا تدمع، وبيتا أعمدته تتهدم! ها هي ترى صديقة عمرها ورفيقة طفولتها وشبابها تبدو كعجوز مسنة وهي تتجرع مرارة الوحدة والفراق، وآلام العزلة والبعاد، تشيعها النظرات المشفقة أو المعاتبة كلما جاءت أو ذهبت، في العشي والإبكار، في أي طريق مشتْ وفي أي فجّ سلكتْ! لذا فقد آثرتْ العزلة والإنقطاع عن الناس !

تساءلت في نفسها ذلك السؤال الذي يجلجل في أعماقها وأعماق الكثيرات مثلها.. أما كان بالإمكان أن يكون الحال أفضل مما هو عليه الآن؟.. "**قدّر الله وما شاء فعل**" .. أما كان لنا أن ندفع قدر الله بقدر الله أيضا؟ إن الوقوف والإستسلام للأقدار دون الأخذ بالأسباب لهو العجز بعينه، فالله خالق الأسباب، وهو مقدر الأقدار، وإنما نفرّ من قدر الله إلى قدر الله.

أما كان الأجدر بتلك الصديقة وذلك الزوج أن يبذلا كـل جهد ويتخطيا أي عقبة للحفاظ على أعمدة البيـت العـامر أن تنكسر وتنهار؟ أليس من الأفضل الـتروّي والإحتفـاظ بالهدوء والاتزان بدلا من الطيش وانفلات اللسان بكلمـة يتبعها الحسرة والندامة..." **طلقنِي.. أنت طـالق..**" كلمـة من بضعة حروف، خفيفة اللفظ، سريعة التزلّج على طرف اللسان، ولكنها مريعـة النتـائج وخيمـة العواقـب، ثقيلـة

التبعات، يبدو أثرها على البيت وكل من فيه من زوج وزوجة وبنين وبنات، هم من بناة المجتمع، وحاضر الأمة ومستقبلها، ومن ثمّ فقد أفلح الشيطان حين نجح في فكّ تلك الروابط الغليظة التي يهدم معها مجتمعاً بأسره، وأمة بأجمعها! ويوقع الجميع في شباك الأذى والشر المستطير.. إن من المؤسف أن تجد بعض الأزواج والزوجات يشارك ولو عن غير قصد أو بحسن نيّة -كما يقول- في تقويض جدران بيته الذهبي الجميل، وهدم عشه العامر الذي طالما حلم ببنائه وتعب من أجل تأثيثه وتمنّى سُكناه.. ولكنه لا يلبث أن ينطفيء بريقه ويُطمس، ويخبو نوره ويُطفأ.. وقد تنكسر بعض أعمدته ويتهدم سقفه، ويُفاجأ كل من الزوجين أنه صار في العراء.. نعم في العراء.. ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ (* + , - . / ﴾

[البقرة:187]. فإذا ما صارا في العراء تشرد الأبناء، وتمزقت أواصر الألفة والمحبة بين الجميع.

الزواج شركة بين الرجل والمرأة :

ألست معي أن الزواج شركة بين الرجل والمرأة رأس مالها المودة والرحمة، وأرباحها التفاهم والمحبة؟... وليس معنى حدوث أي خلاف أو شقاق بين أي شريكين أن يخاصم كل منهما الآخر ويناصبه العداء، أو ينفصل عنه فيكشف ستره ويظهر عيبه ويهتك ما خفي من أمره، فتفلس الشركة وتعلن إفلاسها، بل إن الواجب أن يحاولا حلّ خلافهما بكل طريق ممكن وبأقلّ خسارة تقع، فما بالك إن كانت تلك الشركة هي أعظم الشركات وأوْلاها بالصيانة والإصلاح، وهي أكبر المؤسسات، بكل ما تحمله هذه الأسرة من المعاني الجميلة من أمن وسكينة، ودفء

وطمأنينة، وتضحية وإيثار، ونسل وإعمار.. بعد أن تأسست بأمر الله وتعاهدت على القيام بمتطلبات ذلك الميثاق الغليظ... لذا فإن شريعتنا الغراء ما تركت جانبا فيه الإصلاح لحياة الإنسان إلا تعرضت له تفصيلا أو إجمالا، وليس أدلّ على ذلك من تلك الآيات القرآنية التي تعالج عن قرب **"الخلافات الزوجية"** وتوضح أدب التعامل معها وكيفية علاجها، وتلك السنة المحمدية الزاخرة بالوصايا التي اهتمت بذلك أيما اهتمام.

إن لكل مرض تشخيصا، ولكل داء دواء يبدأ بمعرفة المرض وأسبابه وكيفية التعامل معه، ووصف العلاج المناسب له، على ألا نعطي الأمر أكثر من حجمه، ولنا في رسولنا الكريم < الأسوة الحسنة، فلقد زار ابنته فاطمة - رضي الله عنها – ذات يوم ووجدها غير هاشة كعادتها وعلم أن خلافا قد وقع بينها وبين زوجها عليّ - رضي الله عنه - وكان عليّ

خارج البيت ، فذهب الرسول < إليه حيث وجده نائما بالمسجد على التراب فداعبه بقوله **"قم يا أبا التراب"** [(1)]**.**
ومازحه ولم يعكر صفو حياته الزوجية بتعميق المشكلة بل أخذه إلى بيته وأعطاه الفرصة ليعالج بنفسه المشكلة مع زوجته، فما من بيت إلا وله من الخلاف نصيب قل أم كثر، وليس ذلك هو الخطأ بل إن الخطأ ألا نحاول إزالة المشكلة بتفهّم أسبابها وكيفية التعامل معها وعلاجها في أسرع وقت لأنها كالسوس ينخر في الساق المتين فيضعفها ويفتتها، وهي مرض يسري في جسد الحياة الزوجية فيوهنه ويفتّ في عضده .. ولعل من أسباب تلك الخلافات غياب المنهج الإسلامي في العلاقة بين الزوجين مما يؤدي إلى تفاقم الخلافات ما لم تدرَك.

(1) رواه الطبراني .

وإذا أردنا أن نتعرض لبعض أسباب تلك الخلافات الزوجية نجد منها :

- تفريط الزوج أو الزوجة في بعض الحقوق التي عليه، أو إهمال أحدهما للآخر.

- الثورة والغضب وعدم التريث في فهم الأمور على حقيقتها فيترتب على ذلك سوء الفهم والظن الخاطيء فينشأ الخلاف .

- التربية الخاطئة للزوجة أو للزوج – قبل الزواج- وعدم معرفة الحقوق والواجبات .

- السماح بتدخل الأهل والأقارب وخروج الخلاف خارج أسوار البيت.

- سوء الأحوال المادية والإقتصادية للزوج، وسوء التدبير في الإنفاق من قبل الزوج أو الزوجة .

- سوء علاقة أحد الزوجين بأهل وأقارب الزوج الآخر.

- الإختلاف في طريقة تربية الأولاد، واختلاف شخصية الزوجين.

شراع الأمان للأسرة المسلمة :

إن السفينة إذا تُركت في مهب الريح تعصف بها دون رفع الشراع لحمايتها قد تنقلب ويهلك من فيها، وسفينة الأسرة هي أوْلى بالرعاية، لذا فعلى الزوجين أن يشرعا في وضع دستور الحماية الدائم لتلك المؤسسة ويتفقا عليه ليسهل التعامل مع الخلافات التي لا يخلو منها بيت، ولا حرج في ذلك، إنما الحرج أن يترك الحبل على الغارب لمشكلة ما فلا تعالج وقد تبدأ صغيرة فإذا بها تكبر حتى تهدم صرح الأسرة الشامخ. ومن هذه المباديء:

- لا يجوز الإختلاف على أمر ديني ثابت أو حق من حقوق الزوجين.

- التحاكم إلى شرع الله واللجوء إليه عند وقوع المشكلة وحلّها طبقا لذلك.

- عدم نشر المشكلة بداية بل يعالجها الزوجان معا بسرّية تامة حتى عن الأبناء.

- الحوار الهاديء والتفاهم أعمدة مهمة وضرورية لعلاج أي خلاف، مع النصح، والتواصي بالحق، والموعظة الحسنة.

- لا هجر بين الزوجين إلا في البيت مع ترك الغضب والتحلي بالصبر واللين.

- تحديد مدة زمنية لحل الخلاف ينتهي عندها مهما كان، على أن يعتذر المخطيء ويتصالح الزوجان.

- إن تذكر المواقف والصفات الطيبة لكل من الزوجين، والإنتباه إلى أن المستفيد الأول والوحيد من تلك الخلافات هو" **الشيطان الرجيم** "، كل ذلك يساعد ويساهم في حل المشكلة، وتخطي الأزمة بسلام.

موقف الإسلام من الخلافات الزوجية :

وخلاصة القول: إن الإسلام قد أولى **"الخلافات الزوجية"** عناية عظيمة وبين سبل علاجها، وجعل الصلح أمرا واجبا لا مفر منه كخطوة أولى في طريق أي حل آخر.

قال تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 1 2 4 5 6 8 9 : ; < = > ? @ ﴾[النساء:128].

وقـــــال: ﴿ B C D E F G H

I K L M N O P

R S T U V W X Y ﴾

[النساء:129].

فيكون الصلح بين الزوجين على مرحلتين :

- صلح يقوم به الزوجان بعيدا عن كل تدخل خارجي وذلك حفاظا على قدسية حياتهما الزوجية وسريتها، كما ذكر في الآيتين السابقتين، والحكمة من وراء الدعوة لذلك الصلح إعطاء الفرصة للزوجين ليراجع كل منهما نفسه ويعود إلى ربه وضميره فيصحح خطأه، فيصطلحا.

- صلح علني يخرج الحكم فيه من يد الزوجين وتكون الكلمة فيه للحاكم الشرعي وأهل الصلح من العقلاء

وهذا الصلح يعنـي أن الأمـور قـد تعـدّت واسـتحكمت أسباب الخلاف إلى درجة لم يعد فيها الزوجان بقادريْن على حلهـا حـلا مرضـيا.. قـال تعـالى: ﴿ N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d ﴾ [النساء:35].

- وهذه المرحلة يطلق عليها مرحلة التحكيم أو صلح التحكيم وهي لإصلاح ذات البين، وهو هنا لجوء الزوجين لطرف ثالث محايد للحكم بينهما في موضوع الخلاف، والغرض منه الإصلاح والمصالحة، على أن يتصف الحكمان بالعدل الذي يبعدهما عن الهوى أوالميل لأحد الطرفين، والعلم الذي يؤهلهما للحكم بأحكام الدين في هذا الخلاف، والمعرفة بالعادات والتقاليد الإسلامية الصحيحة، وأن يكونا من الأقارب ذوي العقل والرأي في العائلة أو العشيرة إن كان ممكنا كي يحافظا على

أسرار الزوجين ويشجعاهما على البوح بتفاصيل الخلاف دون خجل.

- فإذا ما بذلت الجهود وفشلت كل طرق العلاج والوفاق، وأصبح الإبقاء على رباط الزوجية شاقا وعسيرا، بحيث لا تتحقق معه الأهداف والحكم الجليلة التي أرادها الله تعالى لذلك الرباط المقدس، فقد جعل التشريع الإسلامي مخرجا للزوجين من هذه الضائقة، وإن كان أبغض الحلال إلى الله.. وآخر العلاج الكيّ..



7

بأي حقٍّ فعلتها ؟



جلستْ في شرفة المنزل تتأمل وقت الغروب وتسبح بحمد ربها، وسبَحتْ مع غروب الشمس - رغما عنها - في بحر من الذكريات، تتأمل شريطا من نسيج حياتها التي غربت وولّتْ، لم يكن يدور بخلدها يوما ما أنها ستصير إلى تلك الحال.

تذكرتْ يوم أن جاءها خاطبا وقبله الأهل ورحبوا به مع قبولها، وها هي تستعد للزواج السعيد، لبناء بيت وتأثيث أسرة، واستقبال قرة الأعين والذرية.. ما أجمل فستانها الأبيض تبدو فيه كملاك طاهر جميل .. ألا ما

أسعدني .. تزوجت ذا دين وخلق، فاللهم بارك لي فيه.. دموعها تتساقط وهي تودع أهلها، لا تدري أهي دموع الحزن لفراقهم أم دموع الفرح بالحادث السعيد ؟!!

ما أعظم نعم الله وما أكرمه سبحانه، منّ عليّ بالزوج ومن قبله بالأهل، وبنعم جليلة لا تحصى، فيا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.. إعتدلت في جلستها وهي تتذكر تلك الأيام التي مضت جميلة رغم مرارة الغربة والبعد عن الأحباب.. كان الحلو يختلط بالمرّ أحيانا، وكان اليسر فيها يتغلّب دائما على العسر، ومضى القارب بمن فيه يتهادى وهو يسير تارة ويتمايل تارة أخرى، وهكذا الحياة الدنيا جمعتْ بين الضدّين في آن واحد!! سبَحَتْ روحها وطافت مع هذه الذكريات حتى أنها نسيت في غمرة التخيل أنها شبه حالمة أو في أحلام اليقظة !! ومرّ عليها بقية الشريط كلمح

البصر، حيث وُجِدَ الشيطان بمكان ما متخفّيا، وانتهز التفاتة سريعة فانقضّ على الفريسة وأنشَبَ فيها مخالبه، وأوقع بها الهزيمة وكان له ما أراد!! **"أنتِ طالق .. لقد انتهى ما بيننا.. لا تراجعي قولي .. أنا آسف..لا تحاولي"** .... هكذا بكل سهولة اقتنص الشيطان فريسته ..اقتنصها ووقف يتفرج!!

- أرجوك .. أعطني فرصة للمراجعة .. هكذا بلا مقدمات أو أسباب قوية أو مقنعة .. أنا هنا في زيارة لبيت أسرتي، وهذا لا يليق .. لماذا هنا بالذات ؟! سأسافر معك إلى بيتنا وهناك نتفاهم بهدوء .. ونحل المشكلة معا بما يرضي الله .

- لقد طلقتك وانتهى الأمر، ولقد فكرت ولا مجال للمناقشة..

- وضحك الشيطان طويلا واستلقى على قفاه من شدة الضحك والفرحة.

- سأنسى ما قلته وسأسامحك .. نعم .. وأمامنا فترة العدّة .. سأعود معك إلى بيتنا بيت الزوجية .. جرّبني فيها من جديد .. ليس لي بعد الله إلا أنت .. أعطني فرصة وسأعمل ما يرضيك .. ما حدث بيننا كسحابة صيف سرعان ما تنقشع ويصفو الودّ .. هيا فلنتصالح ولنرجع إلى البيت ..

تذكّرتْ تلك اللحظات وهي تستجدي عطفه وتستحثّه للصفح، وتذكّرتْ إصرارها على العودة لقضاء فترة العدّة في منزل الزوجية، حيث أنها لم تأت بفاحشة مبيّنة لتُحرِمَ من المكوث فيه، وإصراره على الرفض! وتنهّدتْ ساعتها بحسرة وهي تشهد تقلب الأيام، فها هي خيوط الوصال قد وهنتْ وتمزقتْ حين طارت إحدى صديقاتها من عشّها رغما عن الزوج إثر خلاف نشب بينهما، طارت وظنّتْ أنها تعلو وترتفع بهذا الطيران الخطر، لكنّها في الحقيقة طارت

لتقع .. وارتفعتْ لتهبط!! بينما الزوج يلحّ عليها ويحاول إقناعها بالعودة للعشّ الذي فقد دفأه، وبردتْ حرارته، لكنها أبتْ إلا الفراق ! سبحان الله .. حينها كنتُ أحاول أن أقنعها لتعود وتقضى عدّة طلاقها في بيت زوجها علّها تفيء فيها ولو بعد حين إلى أمر الله "**لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**"..

تمنّته يفعل كما فعل ذلك الزوج .. إن الوضع الآن بالمعكوس! حدّثتْ نفسها : علّه يتراجع لأعود لمملكتي الصغيرة الغالية، ربما عادتْ ينابيع الوداد التي جفّتْ تتدفّق من جديد .. ربما اتصلتْ حبال المحبة التي انقطعتْ وخيوطها التي وهنتْ لتقوى من جديد .. من يُقنع هذا الزوج ؟ ليته يفعل .. إنتبهتْ على صوته الجافي يأتيها من بعيد :

- لا عودة لكِ بعد اليوم .. أنت طالق .. نعم .. أمكثي عند أهلك .. وستصلك ورقة الطلاق !! ... هكذا أطلق الشيطان

ضحكاته منتشيا، وولّى مسرعا فقد نجح نجاحا باهرا إذ نال الوسام .. وسام القرب من إبليس اللعين !

- وفستاني الأبيض .. وأحلامي .. وشجرة الورد .. وزهر الياسمين .. وذكرياتي ..و ... و .....و..

أفاقتْ من تلك الغفوة على صوت يهزّها بقوّة من أعماق قلبها، من رأسها إلى أخمص قدميها .. الله أكبر .. الله أكبر .. إنه صوت الأذان .. أذان المغرب ....

- قال رسول الله <: **"إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول: نِعمَ أنت، فيلتزمه"** (1) .

---

(1) رواه مسلم .

لقد حرص الإسلام على هذا الميثاق الغليظ أن يستمر ويقوى، وأحاطه بسياج من التعليمات والواجبات والحقوق التي تقيه من الإنفصام، حتى أن النبي < حثنا على كل عمل يزيد من قوة عراه ولو بالكلمة، فها هي زوجه عائشة رضي الله عنها حين سألته عن حبه لها أخبرها أنه كالعقدة الوثقى ! ولا شك أن ذلك مما يزيد في المحبة ويرغب في دوام العشرة ... كما يأمر الله الأزواج بحسن عشرة نسائهن والصبر عليهن حال كرههن فيقول:

﴿ Z { | } ~ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ © مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ ¶ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[النساء:19].

وفي المقابل يحذرنا مما يفصم تلك العرى فيتوعد من يفسد امرأة على زوجها بلعنة الله فيقول: **"لعن الله من خبّب امرأة**

على زوجها ......" [1] . ويحذر المرأة من طلب الطلاق بغير سبب فيقول: **"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة"** [2]. نعم .. إنه الطلاق .. أبغض الحلال إلى الله تعالى، وذلك لما يترتب عليه من فك عقد الميثاق الغليظ الذي وثقه الله، وهو مع ذلك آخر المراحل حيث يسبقه مرحلة الصلح بين الزوجين بكل الطرق وبشتى الوسائل، فإن فشلت هذه السبل جميعها كان الطلاق في النهاية أمرا لا مفر منه.. ﴿ [\ ] ^ _ ` a ﴾[النساء:130].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: لماذا لا يحتكم بعض الأزواج والزوجات عند وقوع الخلاف بينهما إلى كتاب الله تعالى حيث لا ظالم حينئذ ولا مظلوم، متناسين أو

(1) رواه أبو داود .

(2) رواه أبو داود .

غافلين عن قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء:59].

- ولماذا تستفز بعض الزوجات أزواجهن بطلب الطلاق عند وقوع أي خلاف؟

- وما الذي يُلجيء بعض الأزواج إلى طلاق زوجاتهن بطريقة مهينة قد لا يرضاها لأخته أو ابنته، فيترك بذلك أثرا سيئا وجرحا غائرا قلما تمحوه الأيام، والله تعالى يقول:

﴿ & ' ( ) * ﴾ [البقرة:231].

ويقول: ﴿ y z { | } ﴾ [البقرة:229].

ويقول: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:237].

- ولماذا يحرص البعض منهم على هتك ستر شريك حياته، وإفشاء سره، وكشف ما خفي عن الناس من عوراته، وكأنهما في معركة يحرص كل منهما على أن يكسبها، وقد كان كل منهما لباسا لصاحبه في يوم من الأيام ؟! ورسول الله < يقول : **"لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة"**[1] .

- وكيف يسمح الزوج لامرأته أو يطلب منها أن تغادر بيتها إلى منزل أسرتها عند الخلاف أو ساعة الطلاق؟! حتى صار ذلك أمرا متعارفا عليه سواء أمر به الزوج أو قامت به الزوجة ، دون النظر إلى أمر الله تعالى بالمكوث في بيت الزوجية لقضاء عدة الطلاق فيه، حيث يقول سبحانه:

﴿ ! " # $ % & ' ( )

+ , - . / 0 1 2 3 4

---

(1) رواه مسلم .

B A @ ? = < ; 9 8 7 6 5

N M L K J I H G E D C

[الطلاق:1].

- وما هو الحال مع وجود أطفال وأولاد بينهما ؟ ترى كم هو نصيبهم من الخسائر في تلك المعركة وكلا الأبوين يشدّهم إلى جانبه، كل يمسك بذراع!! وتتجسّد الأنانية في أعلى صورها وأبشعها حين يُحرمون من أحد الأبوين أو كليهما بفعل الوالدين أو أحدهما!

- وهل يحق لأيّ من الزوجين أن يأخذ من مال غيره بالباطل ولو كان زوجه، مستحلا ذلك بسبب الخلاف أو الإنفصال ؟

ألا ما أكمل النفوس التي تتعالى على تلك الأعمال وتترفع عن الوقوع في الظلم، لأنها ترى الله تعالى في كل عمل، وتؤثر رضاه على هواها، فتحتكم لشرعه وتقيم

حدوده وتتسامى على الأنانية وحب الذات، محققة قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**" [1].



(1) متفق عليه .

8

رفقا بالقوارير

الطلاق والتعدد.. من المخطيء ؟



كاد لبّها يطير، وأوشك رأسها أن ينفجر، وطاش عقلها وهي تصيح وتولول بغير شعور تطلب الطلاق.. طلقني.. طلقني.. فهي لا تدري ما تفعل ولا ما تعمل وهي ترى يومها الذي حسبته يوم عُرس لها فأصبحت من نومها تعدّ الساعات وتحصي الدقائق والثواني وهي تمر كدهر طويل! فتجهزت بأحسن وأجمل ما تتجهز به امرأة لاستقبال زوجها وحبيبها العائد من سفر بعيد بعد غياب طويل، وانتظرته على أحرّ من الجمر.. ولكن ها هي ليلتها

تتحول إلى مأتم كبير، وها هي فرحتها بقدوم المسافر الغائب تتبدد وتذهب أدراج الرياح، وذلك حين ألقى إليها الزوج الحبيب قنبلة من صنع يديه! لقد تزوجت.. سامحيني..! لم يصبر عليها ولو تلك الليلة، بل ولم يحسن اختيار أوقاته فيمهد لكلمته تلك طريقا سهلا معبدا يصل إلى قلب القلب من الزوجة بيسر وأمان دون خسران أو حرمان! ولم يُجِدْ فنّ الزواج والحياة الزوجية وما جُبلتْ عليه نفوس النساء من حب الزوج والغيرة عليه حتى من الهواء!! وزوجته المسكينة هي التي تدفع ثمن هذا التصرف غير الحكيم سواء من فرحتها بقدومه والتي طارت وتبددت، ومن صحتها وعمرها، فلربما ماتت من المفاجأة بالسكتة القلبية فيتحول الحبيب إلى قاتل ولو بالخطأ ! لقد دفعها دفعا بسوء تصرفه وعدم تريثه لأن تطلب الطلاق.. وفي لحظة مرت كالبرق سادها هياج وغضب، وثورة

وعصبية، صاحت فيه.. طلقني.. طلقني.. لا أريد العيش معك.. لا أريدك.. لا أحبك.. طلقني.. لو كنت رجلا إفعلها !.. إنها كلمات مثيرة نطقت بها تلك الزوجة وهي في حالة أشبه باللاوعي، ولولا لطف الله وعنايته لطاش عقل الزوج هو الآخر ولم يتمالك نفسه فغار لرجولته وانتقم لها ناطقا تلك الكلمة التي هي أبغض الحلال إلى الله.. أنت طالق.. وبعدها يتغير كل شيء من حوله.. البيت .. الزوجة.. الأسرة.. الأولاد.. إنه موقف وكلمة إنقلبت معهما موازين تلك الأسرة، ومالت فيهما شجرة المحبة بريح الشقاق التي لا تلبث أن تتحول إلى عواصف عاتية تقذف بالحب والمودة في أرض الأشواك التي تجرح كل من يحاول الإقتراب منها! موقف وكلمة أصبح الأطفال بعدهما وكأنهم أسرى حرب في معركة كبرى.. ولكنها حرب بين حبيبين وتلك مصيبة عظمى!!

وفي ظني أنه كان باستطاعة الزوج بقليل من الصبر والحكمة، والدهاء والحنكة ولين الجانب، واختيار الوقت المناسب لإعلام زوجته بذلك الأمر.. كان يمكن تخطي حدوث هذه النتائج التي أعقبتها تلك المفاجأة، وربما آثرته على نفسها، وفضلت حاجته على حاجتها، وباركت خطاه..

وكذلك كان على تلك الزوجة أن تتلقى ذلك الأمر بالصبر والإحتساب. وإذا أتى اللوم والعتاب فبعيدا عن عيون الأطفال، وإن كان زوجها قد جانب الصواب في طريقة إبلاغها فما هكذا تؤخذ الأمور.. بل بالحكمة والتروي والتصبر، وبالحوار والتفاهم تُحَل المشكلات.. وما دام هذا الزوج بحدود الله وشرعه قائما فلا خوف، إنما الخوف من أن يظلمها، وفي كل الأحوال فليس أمام المرأة إلا الصبر والإحتساب والمطالبة بحقها كما يريد الله...

نعم.. ذلك لأن المرأة المسلمة بشرع الله مطمئنة، وبحكمته وعدله سبحانه في إباحة التعدد موقنة، وإن كان هناك شيء في نفسها فهو من تصرف بعض الرجال وفهمهم الخاطيء لمفهوم التعدد، وعدم معرفتهم تبعاته المنوطة به، وسوء تطبيقهم له بقصد أو بدون قصد.. فترى البعض يعدّد دون ترتيب الأولويات وتقسيم الأدوار، ودون النظر لحقوق الأولاد مع الجهل بحقوق الزوجات من الدعم والنفقة والعدل المادي والمعنوي والنفسي.. يعدّد ولو أدى ذلك لهدم بيته الأول! ولو ضحّى بأمّ أولاده ورفيقة دربه و شريكة كفاحه، وبعضهم يعدّد نكاية في زوجته الأولى فيذرها كالمعلقة! وثالث يحلو له أن يهدد دائما بأنه سيتزوج من ثانية! وكأن الله تعالى جعل التعدد عقوبة للمرأة لا صيانة لها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

كل ذلك أساء الصورة ووسمها بالظلم، والإسلام من الظلم بريء.. فلقد أعطى بعض الرجال بهذا العمل صورة قاتمة للتعدد وأحاطوها بمياه عكرة يصطاد فيها المغرضون والمناوئون لشريعة الإسلام، وإن كان هناك صور أخرى طيبة لأناس طبقوا شريعة الله في ذلك، فها هو رجل يتزوج من امرأة أرملة ليكفلها، وآخر يتزوج من أم لأيتام ليضم أيتامها إليه، وآخر يتزوج ممن فاتها قطار الزواج ليعفها ويحصنها.. مع فهمهم الواعي لمعنى التعدد وما يتبعه من حقوق ومسئوليات.

لكن برغم ذلك الجانب المشرق يبقى أثر الصور المشوهة واضحا مما يسيء للمسلمين ويكون ثغرة لأعداء هذا الدين وينفر الكثيرات من الفتيات من مشروع الزواج العظيم.

إن الإسلام لم يحرم التعدد، ولكنه حرم الضرر" **لا ضرر ولا ضرار** ".. والرجل الراعي لبيت الزوجية القائم عليه لا يتخذ من الزواج بثانية وسيلة لتهديد زوجته كلما غدا أو راح، كما أنه لا يجعل منه سبيلا لإظهار نقصها أو إشعارها بالتطلع لغيرها، فيهملها وينسى فضلها ولا يذكر إلا مساوئها فيكون كمن رزقه الله من زوجته أولادا من بنين وبنات، شموسا وأقمارا، يملأون العين ويبهجون النفس، ويشرحون الخاطر والفؤاد، من رآهم سبّح بحمد الواحد الخلاق، أما هي فقد حباها الله بجمال رباني تتربع ملكة على عرشه.. لكن هي كغيرها من النساء اللاتي لسان حالهن يقول: كان نجماً بسَمَاي لكنه أفل.. كان قمرا في مَسَاي لكنه رحل! وصاحبنا يبحث عن الكمال، والكمال لله تعالى وحده.. ويذرها كالمعلقة وهي تدعوه على استحياء ..

أين حقي عليك بالله عليك؟ ليس لي بعد الله إلاك.. أنا في حاجة إليك.

أبعد هذا العمر وهذه السنين يفكر الزوج في **(الأنا)** ويهجر أم أولاده لا هي زوجة فتأنس به، ولا هي مطلقة فتنكح غيره، تعيش على الذكرى وتقول: كان لي شمسا وقمرا.. كان نورا يتلألأ، فإذا بالشمس تخبو.. وإذا بالنور يطفأ! وهي من عاشت معه على المرّ قبل الحلو.

فصبرا أيتها الزوجة صبرا.. لقد أفل نجمك لكنه سيظهر بسماء أخرى! وخَفَتَ نور شمسك لكنه سيسطع في أرض أخرى.. فصبر جميل .. وأنتم أيتها الزوجات.. كنّ حكيمات عاقلات.. إدفعن السيئة بالحسنة.. قمن بحقوق الأزواج.. تعاملن مع الله أرحم الراحمين الحكم العدل.. فوضن أموركن لله، وطالبن بحقوقكن الشرعية ليل نهار، واحذرن الكفر بآيات الله، فإن الله أباح التعدد وقيده بشروط فلا عذر

لكنّ مع القيام بهذه الشروط، ولكُنّ في رقاب أزواجكن حقوق الميثاق الغليظ فاصبرن صبرا جميلا. وأنتم أيها الأزواج.. ألا فلتكونوا أوفياء، واقدروا أمّ العيال حق قدرها، واعلموا أن المسلم مطلوب منه دائما أن يخطو إلى الأمام، وسعد من سار وخطا، والأسعد منه من سار على الدرب السوي، وعمل حسابا لكل خطوة يخطوها، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب،، ونظر إلى الحقوق نظرة شمول وعدل، فأعطى قبل أن يأخذ، وضحى من أجل غيره قبل أن يطلب تضحية من غيره، وكان مفتاحا للخير مغلاقا للشر.. إقرأوا سيرة رسولنا الكريم < الزوج الوفي، العادل الرحيم، واعرفوا منه حقوق الزوجات فقوموا بها قبل أن يأتي يوم ليس هناك إلا الحسنات والسيئات، فإنما العلم يكون قبل العمل، ولا يكن فقه الرجل أن الله أباح له التعدد دون معرفة ما عليه من حقوق وواجبات..

وها أنا أسوق إليكم ما ذكره الشيخ الغزالي- / - في فقه التعدد.. (**في كتابه فقه السيرة**) :

يقول الشيخ الجليل: مع المبررات الكثيرة للتعدد فإن الإسلام الذي أباحه رفض رفضا باتا أن يجعله امتدادا لشهوات بعض الرجال وميلهم إلى مزيد من التمتع والتسلط، فالغرم على قدر الغنم، والمتع الميسرة تتبعها حقوق ثقيلة، ومن ثم فلا بد عند التعدد من تيقن العدالة التي تحرسه، أما إذا ظلم الرجل نفسه أو أولاده أو زوجاته فلا تعدد هناك.. الذي يعدد يجب أن يكون قادرا على النفقة اللازمة، وإذا كان الشارع يعتبر العجز عن النفقة عذرا عند الإقتران بواحدة فهو من باب أولى مانع عن الزواج بما فوقها... وكثرة الأولاد تتبع عادة كثرة الزوجات، والإسلام يوجب رعاية العدل مع الأولاد في التربية

والتكريم ووسائل المعيشة مهما اختلفت أمهاتهم، فعلى الأب المكثر أن يحذر عقبى الميل عن الهوى. وكذلك يوجب الإسلام العدل مع الزوجات" **إن الله سائل كل امريء عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه"**.

تلك حدود العمل الذي قرنه الله بالتعدد فمن استطاع النهوض بأعبائها فليتزوج مثنى وثلاث ورباع، وإلا فليكتف بقرينته الفذة.." **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة "..**

إلى أن قال فضيلته: على أنه من المؤسف حقا أن يهدم العوام هذه الحدود ويتجهوا إلى التعدد دون وعي لمعنى التعدد المفروض بل تلبية لنداء الشهوة ولو أدى إلى الإقتيات والجور الصارخ، فالرجل يعجز عن نفقة نفسه ثم هو يسعى إلى الزواج، وقد يعجز عن رعاية

واحدة ثم هو يبحث عن غيرها! وقد يحيف على بعض أولاده في التعليم وفي توزيع الثروة تمشيا مع هواه.. وقد يتزوج الأخرى ليهجر الأولى ويذرها كالمعلقة.... انتهى كلامه / .

ألا فلتتقوا الله أيها الأزواج، والزموا العدل ترشدوا.. قال ﷺ : **"من كانت له امرأتان، يميل مع إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل"** [1].. فقوموا بأداء الحقوق. ورفقا بالقوارير أن تنكسر..



(1) رواه الترمذي .

الفهرس

